الباب الثاني

أبو القاسم الشابي وشعره

الفصل الأول

لمحة عن أبي القاسم الشابي

ا. مولده ونشأته

ولد أبو القاسم في ٢٤ شباط فبراير من سنة ١٩٠٩ م، في بلدة الشابّة، وهي من ضواحي توزن.[١]

نشأ أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي، بشابية توزرٍ، من الجنوب التونسي. وكان أبوه محمد الشابي قد فقل من مصر مجازاً من الأزهار، حيث درس على الشيخ محمد عبده المشهور وإنّا لا نعلم متى رجع بالضبط، وإنما كل ما أتيح لنا تحقيقه، هو أنه رجع ليتولىّ خطة القضاء ببعض جهات البلاد التونسية; وأن أول تسمية رسيمة اطلعنا عليها هي تسمية «بسليانة» ولقد صدر له الأمر بتاريخ ١١ ربيع الأول (١٣٢٨) المواقف (٢٢ مارس / آذاء ١٩١٠) أي بعد ولادة أبي القاسم الشابي بسنة تقريباً. ومن هنا كانت نشأة شاعرنا في ظلّ أبيه، الذي عيّن قاضياً بقفصة في ٢١ رمضان (١٣٢٩ هـ) المواقف ١٤ سبتمبر / أيلول (١٩١١) ومن

[١] الأستاذ أحمد حسن بسج، *ديوان أبي القاسم الشابي*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٥.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فقصة ينتقل في ١٥ صفر (١٣٣٢ هـ) المواقف (١٢ جانفيي / كانون الثاني (١٩١٤) إلى قابس. ومن قابس ينتقل بتسمية جديدة مؤرّخة في ٢٢ رجب (١٣٣٥ هـ) المواقف (١٤ مايو / أيار ١٩١٧) إلى جبال تالة. ثم تأتي تسمية أخرى بتاريخ ١٧ ربيع الأول (١٣٣٧ هـ) المواقف (٢١ ديسمبر / كانون الأول ١٩١٨) فير تحل الشيخ القاضي إلى مجاز الباب.[٢]

ب. **دراسته**

تلقى أبو القاسم دروسه الأول على يد والده بالدرجة الأولى، ثم أرسله إلى الكتّاب في بلدة قابس، وفي الثانية عشرة من عمره، قدم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م، حيث التحق بجامع الزيتونة للدراسة، حيث تميّات له الفرصة الحقيقة من أجل التحصيل العلمي وخصوصاً العلوم الدينية، فقضى سبع سنوات يدرس ويطالع، ويخالط المثقفين وأهل العلم، ولكنّه كان لا يخفي تبرُّمه وتضجّره من إقامته في مكان لا تلقى فيه أفكاره القبول والرضا. ومع ذلك فقد «كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة، جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية»، إلا أنه اطلع

[٢] الدكتور عبد المجيد الحرّ، *أبو القاسم الشابي: كوكب السحر*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٦٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

على آداب الغرب من خلال ما كانت تنشره الـدور العربيـة مـن تلك الآداب والحضارات.

وفي سـنة ١٩٢٧ م وفي شـهر يونيـو / حزيـران نـال الشابي شهادة التطويع حيث أنهـى دروسـه في جـامع الزيتونـة. وفي العام التالي ١٩٢٨ م انتسب إلى المدرسـة التونسـية للحقـوق ونال إجازتها سنة ١٩٣٠ م.[٣]

ج. مجالسه

من خلال ما مر معنا في نشأة الشـابي، ومـن خـلال مـا حدثنا به عنه أصدقاؤه والمعجبون بـه، نميـل إلى الاعتقـاد، بـأنّ شاعرنا كان رجلاً ناضجاً رغم صغر سنه؛ وأنه قد عـرف الحيـاة وبلاها، وتحدث عنها وهو يعرف ما هـي؛ وخاصـةً في أُخريـات أيامه المليئة بالتأمّل والفهم والتذوّق. ومـن ذلـك يبـدو لنـا، أن الشابي في مجالسه، كان يعبر عن فهمه للحيـاة فهمـاً نـزع فيـه مترع العمق، والذهاب مباشرةً إلى اللب والصـميم منـها، بفضـل إحساس الصادق وروحه النيرة. وبذلك لم يكن الشـبي في حاجـة إلى قضاء السـنين الطويلـة في التجـارب والفشـل – أحيانـاً – ليصل في النهاية إلى الإحاطة بجوهر المجـالس في حياتـه، أو بشـيء منه. والمجالس في حياة الشابي، مجالس وجودية؛ وهـو نضـج مـن خلالها في حقبة زمنية، تتراوح بين عشـرين وخمسـةٍ وعشـرين

[٣] الأستاذ أحمد حسن بسج، *ديوان أبي القاسم الشابي*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٥-٦.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

عاماً؛ وأدرك أن صميم الحياة يناديه؛ فأصاخ وهو ابن هذا العمر السخيّ القصير إلى الآخرين يسمعهم – وهو يحدثهم – ومن ثم يجيبهم بما يزخر به قلبه، من ثروةٍ هائلة تفيض بإيمان مطلق بسنن الحياة وقوانينها. وكان أهل مجلسه، يرون لسانه يلهج بنارٍ متأججة من الشوق إلى الحياة؛ وحب اعتناقها، وهي في أكرم صورها وأخلص عناصرها المجرّدة من شوائب القشور، ومبتسر التجارب الخائبة. وقد جاهر بعض محدثيه في جلسةٍ مفعمةٍ بالصراحة المتناهية حول ما يعتقد ويعتقدون فقال يخاطبهم «سلكت إلى فهم الحياة، طريق الشعور الملهم الذي يتجاوز الأشكال العقلية، ومنطقها الجامد وهو محمول على أجنحةٍ من النور. أمّا أنتم فسلكتموها تمشون على الأرجل، في طريق المنطق والعقل، المليئة بالجفر والمنعرجات، والحيل البليدة، فتضيعون العمر في البحث والنظر، أو تضيعون العقل الذي أسلمتم له القيادة، فلا نكاد نصل معه إلى شيء من جوهر الحياة، إلاّ قبل أن نودّع الدنيا بربع ساعة...»

ويتكلم عنه الأستاذ إبراهيم أبو رقعة في مجالسه فيقول: «وقد حدثني أبو القاسم عن نفسه أن الطور الأول الذي قطعه من حياته الفكرية، هو التنسك والانقطاع إلى العبادة .. وأنه يقضي اليوم واليومين لا يخرج من معبده؛ وربما مكث الزمن الطويل بدون طعام أو شراب تعذيباً للنفس، وكرهاً لهاته الدار.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وكان يؤمل أن يأتيه في وحدته طائفٌ يخبره بالغيب، ويبشره برتبة القطب أو الغوث (لست أدري)».[٤]

ومن تلك المجالس التي تذكر لأبي القاسم مع أصدقائه والمقرّبين إليه, نقتطف ما يتسع لها مجال الذكر, ونجعلها في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

تلك التي دخل فيها والده جامع الأزهر, وتخرّج منها قاضياً شرعياً, يدرس مذاهب المتصوّفة التي حفظها عن كتاب الاحياء للغزالي؛ حيث أثر تأثيراً محسوساً في نفس أبي القاسم, الذس فتح عينيه على مجلس أبٍ يخاطبه مخاطتة العابد المتنسّك, يبغض الدنيا ولا يحفل بها، ولا تساوي في نظره جناح بعوضة.

والمرحلة الثانية:

هي مرحلة التخفّي عن أعين أبيه، في أدبه وشعره الخارج عن روح المحافظة على القديم. وفي هذه المرحلة تحدّث عنه رفاقه في مجالسهم؛ فذكروا أنهم كانوا يرونه, وقد أثقل جيوبه بالتحارير من أشعار وقصص. وكان يطلعهم على أفكاره ونظرته ألى الحياة. وذكروا أنهم كانوا يزورونه في مترله القائم داخل مدرسة جامع الزيتونية فيطلعهم على التحارير

[٤] الدكتور عبد المجيد الخرّ، *أبو القاسم الشابي: كوكب السحر*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٦٧-٦٩.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والأوراق التي تشغل مكاناً خفياً من البيت. وكانوا يسألونه عن سبب إخفائها, فيجيبهم بأنّ والده وضع رقيباً عليه, يمنعه من إضاعة وقت دراسة بنظم الشعر, والاطلاع على أدب الغرب؛ ولهذا فهو يخفي هذه الأوراق عن الأنظار, خشية وقوف المكلّف بمراقبته في التعليم من طرف والده عليها. إذ كثيرا ما عثر له على تقييدات أدبية، فأشبعه لوماً وتعنيفاً, وربما رفع الأمر إلى والده, فتأتي رسائله مملوءة بالتهديد والوعيد. وفي هذا المجال يقول إبراهيم أبو رقعة ما نصّه: «... وقد وجدتُ وقتئذٍ نثر أبي القاسم أكثر من شعره. ووجدت صدره ضيقاً حرجاً بأدبياته، ليس له قرين يبادله القول, أو يناقشه النظر. ولا يوجد حوله إلاّ الرقباء والأعين؛ حتّى إذا رأوا بيده ورقة أدبية مزقوها، أو كتاباً أدبياً أتلفوه. وكانت تلك الساعة التي اجتمعت معه فيها, من أفسح الساعات وأطيبها. وقد سألته لماذا لا تنشر البعض من هذا النثر والشعر بالجرائد السيّارة, والحال أنه بلغ حدّ الكمال, فوجدت الفتى مرتاباً في نضوج تحريراته, ويخشى من الفكر العام أن يقابله بالهزء والسخرية, كما أنّه يخشى غضب والده, وغضب المتعهّد برعايته. ولم أخرج من بيته, حتى تسلّمت منه قطعةً شعريةً رائعة, وسلمتها إلى السيد حسين الجزيري, صاحب جريدة النديم؛ وقد حان وقتئذٍ بروز عدده الممتاز, فنشرها تحت عنوان شاعر الوجدان أبو القاسم الشابي،

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فكان شكراً وثناءً وتنشيطاً من عموم الأدباء، ولوم وتعنيف ممن تعلمون».

والمرحلة الثالثة:

هي مرحلة نضوج مجالسه, بعد اطلاعه على قصائد شعراء الحداثة، ومنهم جبران خليل جبران, وغيره من كتاب المهجر، ووجد في نفسه راحةً إلى نثرهم وشعرهم لأن شعر ونثر هؤلاء عليه المسحة الصوفية، وذلك لبعده عن الماديات وتعلّقه بسر الوجود والحياة. وأصبح أبو القاسم ينطق في مجالسه باللسان الذي ينطق به جبران، وعنون كتائبه وأشعاره بمثل العناوين التي عنون بها جبران كتائبه وأشعاره.

طوّر أبي القاسم الثالث من مجالسه الفكرية في شعره، هو طور النضوج والاستقلال في الرأي والتفكير, والاختراع في الأدب والابتكار. وكان يحدث جلساءه عمّا طالعه من آلاف مجلدات كتب الأقدمين, وكل ما وصلت إليه يده من كتب المتأخرين وقد زادت شهرة أبي القاسم, في المرحلة الثالثة من مجالسه، حين سامر بالخلدونية بطلبٍ من النادي الأدبي بتونس؛ مسامرته الشهيرة التي سماها «الخيال الشعري عند العرب» فقد كان لها دويٌّ في الأوساط الأدبية.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

زفي إحدى جلساته بين أدبـاء وشـعراء عصـره, صـرّح لجلسائه قوله – الذي لخصـه في رسـالة بعثهـا لصـديقه محمـد الحليوي – بأنه في بيئته الثقافية، يشعر شـعوراً عميقـاً بالضـياع, بين جامدين, قـد احتلـوا مكانـاً في الأدب «يجـب أن يحتلـه الأحياء الذين يعرفون كيـف ينفخـون في الشـعب روح الحيـاة؛ والذين يعرفون كيف يعلمونه محبة الحق والقوة الجمال».

ويذكر عنه من اختلف إلى مجالسه، أنـه يـتكلم إلى محدثـه بعينين تنظران إلى الوجود نظـرة النـاقم الهـازىء السـاخر مـن الحياة. وكـان يشـعر بالغربـة, لأن لا جـظ أن بيئتـه الثقافيـة التقليدية, مختلفة – زمنئـذٍ – عـن التيـارات الفكريـة والأدبيـة التجديدية في المشرق خصوصاً, وفي العـالم عمومـاً. وفي واحـدة من جلسات الأدب العامرة, نادى بـه رفاقـه المخلصـون زعيمـاً للحركة الأدبية الجديدة في بلاده. بيد أن دعـاة التقليـد، تصـدّوا له, ورفضـوا بيانـه الأدبي الـذي جهـر بـه سـنة (١٩٢٩) في مسامرته «الخيـال الشـعري عنـد العـرب». وكـان الـزعيم السياسي محمد محيي الدين القليبي، أحـد النـاطقين بلسـانهم. وفي تلك الجلسة التفت الشاعر حوله يبحـث عـن أدبـاء، تتـدفق في دمائهم عزمات الفتوة, ونخوة الشباب ونشـوة الأحـلام؛ فوجـد قلةً قليلةً معجبةً بعبقريتـه, معترفـة بزيادتـه الأدبيـة في تـونس، مؤمنة مثله بوجـوب خلـق الأدب التونسـي الجـدير بـالخلود.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وكان محمد الحليوي أحد أولئك الأنصار – الذي كان يجالسه في رسائله الدائمة – فكتب إلى أبي القاسم يوم ٢٢ فيفري/ شباط (١٩٣٠) اعترافاً بزعامته هذا نصه: «لا شك أنك ستتولى زعامة التجديد الأدبي في تونس، ونكون نحن تحت لوائك تلك هي بعض مجالس أبي القاسم, التي اعترف معاصروه بأهميتها, وقالوا عنه فيها: «غير أن المجددين قصروا عن بلوغ مستوى المسؤولية الأدبية الجديدة التي تحملها الشابي».[٥]

د. نشاطه الأدبي

ذكرنا أن الشابي جمع ثقافة واسعة عربية من جهة، وغربية عن طريقة ما قرأه من ترجمات ونقول عن الآداب الغربية، لذلك تفتحت قرائحه الشعرية في سن مبكرة في حدود الثانية عشرة من عمره ومما يروى في ذلك أن قصيدة «يا حب» التي نظمها سنة ١٩٢٣ م كانت من أوائل شعره. وكتب في الصفحة الأدبية لجريدة النهضة، كل اثنين، سنة ١٩٤٢ هـ / ١٩٢٦ م. وظهر شعره مطبوعاً ضمن كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»، سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٧ م. وفي السنة ذاتها ألقى محاضرة في نادي قدماء

[٥] الدكتور عبد المجيد الحرّ، *أبو القاسم الشابي: كوكب السحر*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٦٩-٧٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الصادقية عنوانها: «الخيال الشعري عند العرب»، كانت مادة الكتاب الذي حمل العنوان نفسه فيها بعد.[٦]

ه. صفاته

لا بأس من ذكر صفاته الجسدية، إلى جانب صفاته الروحية والنفسية والخلقية، التي وصفها أقرب الناس إليه التصاقاً؛ بدءاً بأشقائه، وانتهاءً بالأدباء والشعراء الذين عاصرهم، وعرفوه عن قربٍ حق المعرفة خلقاً وخلقاً. ويقول شقيقه محمد أمين الشابي في كتاب «ديوان. أبو القاسم الشابي» ما نصّه في وصف أبي القاسم «نحيف الجسم، مديد القامة، قويّ البديهة، سريع الانفعال، حادّ الذهن، تكفكف رقة طبعه من عرب عاطفته وحدة ذهنه. يراه أصدقاؤه بشوشاً، كريماً، وديعاً، متأنّقاً، طروباً لمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية.[٧]

و. مرضه وزواجه

أصيب أبو القاسم بداء تضخم القلب، في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره، وقد نهاه الأطباء عن بذل أي جهد فكري أو جسدي ومع ذلك يتوقف عن عمله شعراً ونثراً، مما زاد في خطورة وضعه.

---

[٦] الأستاذ أحمد حسن بسج، *ديوان أبي القاسم الشابي*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٦.

[٧] الدكتور عبد المجيد الخرّ، *أبو القاسم الشابي: كوكب السحر*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٦٤-٦٥.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

أما زواجه، فإنه، وبناء على رغبة والـــده، وبعـــد استشـــارة الطبيب أقدم على الـــزواج ســـنة ١٩٢٩ م، قبيـــل وفـــاة والـــده بقليل، ولكن حالته بعد الزواج لم تتحســـن، بـــل علـــى العكـــس ازدادت سوءا خصوصاً وأنه كان يُرهق نفســـه أكثـــر ممـــا يطيـــق قلبه المتعب، فتكـــاثرت بعـــد ســـنة ١٩٣٠ م النوبـــات القلبيـــة الحادة، ومع أنّ عدة أطباء أشرفوا على معالجتـــه، ومنـــه الطبيـــب الفرنسي «كالو»، فلم يسفر كل ذلـــك عـــن أي فائـــدة تُـــذكر، علماً أنه أخذ بنصائحهم بعد ذلك في قضـــاء الوقـــت في المصـــايف والمنتجعات سنة ١٩٣٢ م، وكان رزق بولـــده البكـــر. وفي ســـنة ١٩٣٣ م، اضطر بعد اشتداد المـــرض أن يـــلازم الفـــراش ويمتنـــع عن الكتابة والقراءة، ثم انتقل إلى مكان يُـــدعى «حامـــة تـــوزر» حيث يوجد فيها عين مـــاء حـــار يستشـــفى بهـــا مـــن بعـــض الأراض.[٨]

ز. وفاته

اشتد عليـــه المـــرض ســـنة ١٩٣٤ م، فتوجـــه إلى تـــونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطـــالي في ٢٦ أغســـطس آب بقـــي فيها حتى توفي سحر يـــوم ٩ تشـــرين الأول – اكتـــوبر ١٩٣٤ م، ونقل جثمانه إلى بلده توزر حيث دفن فيها.[٩]

---

[٨] الأستاذ أحمد حسن بسج، *ديوان أبي القاسم الشابي*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٧.

[٩] نفس المرجع، ص: ٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الفصل الثاني

لمحة عن شعر أبي القاسم الشابي

أ. آثاره

رغم السن الصغيرة القصيرة العمر، التي عاشها أبو القاسم الشابي، تسنّ له بجهده العلمي، وذكائه، وإرادته على التحصيل منذ نعومة أظفاره، أن يغني المكتبة العربية بمؤلفاتٍ يمكن تلخيصها بما يلي:[١٠]

١. قصة الهجرة النبوية، وقد نشرتها مجلة العالم في تونس.

٢. «في المقبرة» وهي رواية.

٣. «السكير» وهي مسرحية.

٤. مجموعة رسائل، توجّه بها إلى أصدقائه ومنهم: البشروش، والحليوي، وأبو شادي، وإبراهيم ناجي وعلي ناصر، وآخرون.

٥. «مذكرات» بدأ بتدوينها سنة ١٩٣٠.

٦. الأدب العربي في العصر الحاضر، وهي دراسة أدبية قصيرة قدّم بها ديوان «الينبوع» للشاعر أبي شادي.

٧. «شعراء المغرب»، دراسة أعدها ليلقيها في النادي الأدبي، و لم يلقها فتركت مخطوطة.

---

[١٠] الدكتور عبد المجيد الخرّ، *أبو القاسم الشابي: كوكب السحر*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٧٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٨. «جميل بثينة» وقصص أخرى.

٩. «صفحات دامية».

١٠. مقالات مختلفة.[١١]

ب. ديوانه

جمع الشابي ديوانه في صيف ١٩٣٤ م وسماه «أغاني الحياة» وقد رتّبه بنفسه، واختار ما يريد من القصائد وأهمل البعض الآخر، وكان يعدُّه بذلك للطبع، ولكن الموت منعه من ذلك، فتولى أخوه محمد الأمين الشابي تلك المهمة فنشر الديوان بإشراف أحمد زكي أبو شادي سنة ١٩٥٤ م. وتميّزت تلك الطبعة بأنها التزمت الترتيب الذي كان ارتضاه الشاعر نفسه لقصائده، فلم يطرأ أي تعديل على الديوان، إلا بإضافة بعض قصائد لم يثبتها الشاعر. وهي: «نظرة في الحياة»، «أنشودة الرعد»، «في الظلام»، «أيها الليل»، «شعري»، «أيها الحب»، «أغنية الأحزان»، «جدول الحب».

في ديوان أبي القاسم الشابي الذي رتبه وجمعه الأستاذ أحمد حسن بسج أشعار فيها القوافي المختلفة وأحدها قافية الباء. وفيه هذه القافية الباء مواضع ما يلي:

---

[١١] الأستاذ أحمد حسن بسج، *ديوان أبي القاسم الشابي*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٨.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١. يا شعر

٢. نشيد الأسى

٣. في سكون الليل

٤. الكآبة المجهولة

٥. السَّآمة

٦. قبضة من ضباب

٧. من حديث الشيوخ

٨. أيُّها الليل

٩. فلسفة الثعبان المقدّس

١٠. الدنيا الميتة

١١. صوت من السَّماء

١٢. للتاريخ

١٣. وعود الغواني

١٤. ليلة عند الحبيب

هذا شعر "فلسفة الثعبان المقدس":

فلسفة الثعبان المقدّس

كـــان الرَّبيعُ الحيُّ روحاً, حالمـــاً غـــضَّ الشَّبـــابِ, مُعَطِّرَ الجلبـــابِ

يَمْشي على الدّنيا, بفكرةِ شَاعـــرٍ ويطـــوفُـــهَا, في موكبٍ خَـــلاَّبِ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والأفْــقُ يمــلُأهُ الحَنــانُ, كـــأنَّهُ ... قَلْــبُ الوجــودِ المنتجِ الوهَّـــابِ
والكـــونُ مِنْ طُهْرِ الحياةِ كأنّـــما ... هوَ معبـــدٌ, والغـــابُ كالمحــرابِ
والشّاعرُ الشَّحْرورُ يَرْقُصُ, مُنشـــدًا ... للشَّمسِ, فوقَ الوردِ والأعشـــابِ
شعْرَ السَّعـــادة والسَّـــلامِ, ونفســـهُ ... سَكْـــرَى بسِحْرِ العـــالَمِ الخـــلاّبِ
ورآه ثعبـــانُ الجـــبـــال, فـــغمّـــه ... ما فيه من مَرَحٍ, وفيْـــضِ شبـــابِ
وانقضّ, مضْطَغِنـــاً عليـــه, كأنَّـــه ... سَوْطُ القضـــاءِ, ولعنـــةُ الأربـــابِ
بُغِتَ الشّقيُّ, فَصَاح في هول القضا ... متـــلفـــتـــاً للصّـــائـــل المنْتَـــابِ
وتَدَفّق المسكـــينُ يصرخُ ثـــائـــرًا: ... «ماذا جنيتُ أنـــا فَحُقَّ عِقابـــي؟»
«لا شـــيءَ, إلاّ أنَّـــنـــي متعـــزّلٌ ... بالكائنـــاتِ, مغرّدٌ فـــي غابـــي»
«أَلْقَـــى من الدّنيا حنانـــاً طاهـــرًا ... وأَبُثُّها نَجْوَى المـــحبِّ الصّابـــي»
«أَيُعَدُّ هذا فـــي الوجود جريمـــةً؟! ... أينَ العدالةُ يـــا رفـــاقَ شبابـــي؟»
«لا (أين)؟, فالشَّرْعُ المقدّسُ ههنا ... رأيُ القـــويِّ, وفكرةُ الغَـــلاّبِ!»
«وَسَعادةُ الضَّعفـــاءِ جُرْمٌ.., مالَهُ ... عند القويِّ ســـوى أشدِّ عِقَـــابِ!»
«وَلْتَشْهَـــدِ الدُّنيـــا التـــي عنَّيْتُهَا ... حُلْمَ الشّبابِ, وَرَوعةَ الإعجـــابِ»
«أنَّ السَّـــلاَم حَقِيقـــةٌ, مَكْذُوبةٌ ... والعَدْلَ فَلْسَفَةُ اللّـــهيبِ الخابـــي»
«لا عَدْلَ, إلا إنْ تَعَادَلَتِ القـــوَى ... وتَصَـــادَمَ الإرهـــابُ بالإرهـــابِ»

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فَتَبَسَّمَ الثُّعبـــانُ بَسْمـــةَ هـــازىءٍ ... وأجابَ في سَمْتٍ, وفَـــرْطِ كِذَابِ:

«يا أيُّهـــا الغِـــرُّ المثرثِـــرُ, إنَّنـــي ... أرثِـــي لـــثورةِ جهْلـــكَ التـــلاّبِ»

«والـــغرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغـــى ... جهلُ الصِّبـــا فـــي قلبـــه الوثّـــابِ»

«فاكبحْ عواطفكَ الجـــوامحَ, إنّهـــا ... شَرَدَتْ بلُبِّكَ, واستمـــعْ لخطابـــي»

«إني إلـــهٌ, طَالَمـــا عَبَـــد الـــورى ... ظلّي, وخافـــوا لعنَتـــي وعقابـــي»

«وتقدّموا لـــي بالضَّحايـــا منهُـــمُ ... فَرحيـــنَ, شـــأنَ العَـــابدِ الأوّابِ»

«وَسَعَـــادةُ النَّفـــسِ التَّقيَّـــة أنّهـــا ... يومًا تكـــونُ ضحيَّـــةَ الأَربـــابِ»

«فتصيرُ في رُوحِ الألوهـــة بضعـــةً, ... قُدُسِيَّـــةً, خَلُصَتْ منَ الأَوشـــابِ»

«أَفَلاَ يَسُرُّكَ أن تكـــونَ ضحيَّتـــي ... فتحُلَّ في لحمي وفـــي أعصابـــي»

«وتكونَ عزماً في دمي, وتوهُّجـــاً ... فـــي نَاظِريَّ, وحدّةً فـــي نابـــي»

«وتذوبَ في رُوحِي التي لا تنتهـــي ... وتصيرَ بعضَ ألوهتي وشَبابـــي..؟»

«إنِّـــي أَرَدْتُ لـــكَ الخلودَ مؤلّهـــاً ... في روحي الباقي على الأحقابِ..»

«فكّرْ, لِتُـــدْرِكَ مـــا أريـــدُ, وإنَّـــه ... أسمي من العيش القَصيـــر النَّابـــي»

«فأجابه الشُّحرورُ, في غُصَصِ الرَّدَى ... والموتُ يخنقـــه: «إليكَ جَوابـــي»:

«لا رأى للحقِّ الضَّعيفِ, ولاصـــدىً ... والـــرّأيُ, رأيُ القَاهـــرِ الغـــلاّبِ»

«فافعلْ مشيئَتـــكَ التـــي قد شئتَهـــا ... وارحمْ جلالكَ من سماعِ خطابـــي»

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وكـــذاك تتخـــذ المظالـــم منطقـــا عذبـــا لـــتخفـــي ســـوءه الأرابِ

ج. شعره وأغراضه

ليست العملية الشـــعرية عنـــد الشـــابي عمليـــة مقصـــودة لذاتها، بل هي وسيلة مـــن الوســـائل الـــتي يمكـــن أن تســـاهم في إيصال مبادئه الثورية إلى مجتمعه، فهو يريـــد لأمتـــه أن تهـــب مـــن رقدتها، يريد أن يشهد نهاية الظلم في بلاده، فكـــان يـــتغنى بالحيـــاة وبجمالها من أجل ترغيـــب الآخـــرين في أن يتوجهـــوا إلى ذواتهـــم أولاً فيصلحون من أنفســـهم، ثم يتـــأملون الطبيعـــة الـــتي يلفـــت أنظارهم إلى جمالاتها، ليدركوا أهمية الحياة وبالتالي أهميـــة الحريـــة. وبالمقدار الذي يتحرّق فيه الشاعر ويتـــألم مـــن أجـــل الآخـــرين، رأينا أن الاستجابة لدعواته لم تكن بالحجم الذي أراده، مـــن هنـــا كانت ردود الفعل عنده عنيفـــة أحيانـــاً فينـــهال علـــى الجـــاملين والكسالى بالتقريع، وينصرف عنهم متوجهاً إلى الطبيعـــة بكليتـــه، متأثراً بالرومنطيقين، لعله يجد راحة لنفسه المتمـــرِّدة، ففـــي الغـــاب الذي توجه إليه، عـــودة إلى الفِطـــرة، وعـــالم الغـــاب بـــالمفهوم الرومنطيقي عالم خيالي عـــاطفي، والحـــديث عنـــه يـــدل علـــى إحساس الشاعر بالغربة، وهو بين أهله وقومـــه، هـــذا الإحســـاس، يتطور مع مرور الـــزمن إلى ملـــل ويـــأس واشمئـــزاز مـــن الـــذين ينمسكون بأعراف بالية لا يقرها عقـــل ولا تتوافـــق مـــع الـــدين.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

إذا، جعل الشابي من الشعر منطلقا ليعبّر عن ذاته وما يعتلج فيها من هموم، سواء ما يدور منها حول هذه الذات، أو ما يتعلق بالآخرين.

أما طريقته في النظم، فإنها تقوم على أسس ومنطلقات، تراعي بمجملها أمرين هما: عمق المعاني، وسهولة الألفاظ. فالمعاني ترتبط بالإنسان وبالحياة، وبالشعور. والألفاظ سهلة، ليّنة، فيها قوة وقدرة على حمل المعاني المختلفة بحيث تأتي مُشعَّة، تتداخل من خلالها المحسوسات، مما يقرِّب العبارة إلى الرمزية لما يكتنفها من غموض أو خيال عميق، وقد أشبَه في ذلك جبران خليل جبران. وكما اهتم باللفظة المفردة وبالمعنى العميق، فقد جاء بأوزان شعرية رشيقة تتلاءم مع الإيقاعات الموسيقية التي توخّى الشاعر أن يقدم معانيه عبرها، وهي موسيقى انسيابية تدغدغ مشاعر الإنسان الفرد، فتطربه حينًا، وتثيره حينًا آخر فتلهب أحاسيسه، أو أنه يحس بالانفلات والتحلل من كل قيد! لذلك، نجد أنه يكثر من استعمال بحر الرمل، والمتقارب، ومجزوء الكامل، والمنسرح والخفيف، وكلها أوزان تخدم أغراض الشاعر وتتلاءم مع طبيعة شعره، في التعبير عن موضوعاته التي أشرنا إليها.[١٢]

[١٢] الأستاذ أحمد حسن بسج، *ديوان أبي القاسم الشابي*. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٥ م). ص: ٨-٩.

KEMENTERIAN AGAMA PERPUSTAKAAN IAIN SUNAN AMPEL SURABAYA

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id